بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمدُ للهِ الواصِفِ لنبيّهِ محمّدٍ -ﷺ- في كتابهِ الكريمِ بقولهِ:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٣٣]

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: ٢٨]

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصَّف: ٩]

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأَنبِيَاء: ١٠٧]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القَلَم: ٤]

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨]

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩]

ولقد تجلّتْ هذه الصفاتُ الحميدةُ والخِلالُ الأصيلةُ في سيرتهِ العطرةِ وأيامهِ العامرةِ؛ فكان -ﷺ- قرآنًا يمشي.

وإنّ من جليلِ ما صُنِّفَ في هذه السيرةِ وألطفهِ وأخصرهِ ما دوّنهُ القاضي أبو الحسنِ علي بنُ محمد المَاورديُّ (٤٥٠هـ) حيث قال في خاتمة كتابه الماتع "أعلام النبوة" : «فأما أحكامُ جهادهِ في حُروبهِ وغزواتهِ فسنذكرهُ في كتابٍ نُفردُهُ في سيرتهِ نُوضِّحُ بهِ مواقعَ أعلامهِ ومبادئ أحكامهِ؛ وبالله التوفيق»[1]

فتتبعتُ لعلي أقفُ على هذا السفر مُنفردا؛ فظهر أنه لا ككتابٍ مُستقلٍ بل هو كتاب ضمنَ موسوعتهِ الفقهيةِ كتابهِ الحاوي الكبيرِ؛ افتتح به كتاب الجهاد منه[2].

فرتّبَ السيرةَ على السنين ذاكرًا الوقائعَ الجسامَ في كلِّ سنةٍ مع حُسنِ عبارةٍ ولطيفِ إشارةٍ؛ جمعها من كتبٍ كثيرةٍ في هذا الشأنِ؛ منها ما وصلنا ومنها ما لا نعرفهُ.

فارتأينا أن نسُلّها ونستخرجها ونُفردها -كمَا قال مؤلفها- بالتّحقيقِ والطباعةِ لمَا فيها من علمٍ جمٍّ؛ تكونُ متنًا وورِدًا لمَنْ أرادَ الاطلاعَ على أيامِ رسولنا الكريمِ -ﷺ-.

---

[1] أعلام النبوة ٢٤٣.

[2] الحاوي الكبير ٣/١٤.

ولقد اعتمدنا في ضبطِ النصِّ على نسختين خطيتين:

نسخة بدارِ الكتبِ المَصريةِ جعلنها أصلا؛ وأخرى بأحمد الثالث التركية رمزنا لها (ب).

ووضعنا عناوين لكل فصل تليق به تسهيلا للفهم.

وضبطنا نصه على قدر الجهد بالمقارنة مع كتب السيرة سيما ما جزمنا أن المصنف نقل منه.

وخرجنا غالب أحاديثه ووثقنا نصوصه.

وشرحنا غريبه وعرّفنا بالأماكن والبلدان التي ذكرها.

فنسأل الله الكريم أن يتقبله منا ويعصمنا فيه من الزلل والخطأ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِه

كتاب السير

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ لِرِسَالَتِهِ وَاصْطَفَى لِنُبُوَّتِهِ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ ابْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ ابْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

وَبَعَثَهُ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ حِينَ وَهَتِ[1] الْأَدْيَانُ، وَعُبِدَتِ الْأَوْثَانُ، وَغَلَبَ الْبَاطِلُ عَلَى الْحَقِّ، وَعَمَّ الْفَسَادُ فِي الْخَلْقِ؛ لِيَخْتِمَ بِهِ رُسُلَهُ، وَيُوَضِّحَ بِهِ سُبُلَهُ، وَيَسْتَكْمِلَ[2] بِهِ دِينَهُ، وَيَحْسِمَ بِهِ مِنَ الْفَسَادِ مَا عَمَّ، وَمِنَ الْبَاطِلِ مَا تَمَّ.

فَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْتٍ أَسَّسَ فِيهِمْ مَبَادِئَ طَاعَتِهِ وَقَوَاعِدَ عِبَادَتِهِ؛ بِالْبَيْتِ[3] الَّذِي جَعَلَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَالْحَجِّ الَّذِي جَعَلَهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ رُكْنًا؛

---

[1] من وهى الشيء: إذا ضعف وهم بالسقوط.

[2] في النسخة (ب): يشمل.

[3] في النسخة (ب): البيت.

لِيَكُونُوا مُسْتَأْنِسِينَ بِدِينٍ[1] سَهْلٍ تَسْهُلُ بِهِ إِجَابَتُهُمْ؛ وَلَا يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ مُلْكٍ قَدِ اسْتَحْكَمَ مُعْتَقَدُهُمْ؛ فَتَصْعُبَ[2] إِجَابَتُهُمْ؛ لُطْفًا سَهَّلَ بِهِ الْمَبَادِئَ وَأَحْكَمَ بِهِ الْعَوَاقِبَ.

فَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ[3] التَّأْسِيسِ لِنُبُوَّتِهِ: أَنْ كَثَّرَ اللَّهُ قُرَيْشًا بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأَعَزَّهُمْ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وَجَعَلَهُمْ دَيَّانِينَ[4] الْعَرَبِ، وَوُلَاةَ الْحَرَمِ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ هَجَسَ فِي نَفْسِهِ ظُهُورُ النُّبُوَّةِ فِيهِمْ: "كَعْبُ بْنُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ" فَكَانَ يَجْمَعُ النَّاسَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ -وَهُوَ سَمَّاهُ- لِجَمْعِ النَّاسِ فِيهِ: "يَوْمَ الْجُمُعَةِ" وَكَانَ يُسَمَّى: "عَرُوبَةَ"

وَكَانَ يَخْطُبُ فِيهِ عَلَى قُرَيْشٍ، وَيَقُولُ بَعْدَ خُطْبَتِهِ: «حَرَمُكُمْ عَظِّمُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَسَيَخْرُجُ بِهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ؛ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِيهِ ذَا سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَيَدٍ وَرِجْلٍ، لَتَنَصَّبْتُ تَنَصُّبَ الْجَمَلِ[5] وَلَأَرْقَلْتُ إِرْقَالَ الْفَحْلِ[6]» ثُمَّ يَقُولُ:

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ ❊ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خُذْلَانَا

---

[1] كذا في النسخة (ب) وفي الأصل: بتدين.

[2] في النسخة (ب): فعصت.

[3] في النسخة (ب): أول.

[4] الديان: القهار والقاضي والحاكم؛ فقد جعل الله قريشا قضاة العرب وولاتهم وسادتهم.

[5] أي: رفعت صدري لنصرته كما يفعل الجمل.

[6] أي: أسرعت كما يسرع الفحل.

وَهَذَا مِنْ فِطَرِ الْإِلْهَامِ[1] وَمَخَايِلِ الْعُقُولِ[2]

ثُمَّ انْتَقَلَتِ الرِّئَاسَةُ بَعْدَهُ إِلَى "قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ" فَجَدَّدَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَبَنَى دَارَ النَّدْوَةِ لِلتَّحَاكُمِ وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّشَاوُرِ وَعَقْدِ الْأَلْوِيَةِ؛ وَهِيَ أَوَّلُ دَارٍ بُنِيَتْ بِمَكَّةَ، وَكَانُوا يُخَيِّمُونَ[3] فِي جِبَالِهَا؛ ثُمَّ بَنَى الْقَوْمُ دُورَهُمْ بِهَا؛ فَزَادَتِ الرِّئَاسَةُ وَقَوِيَ تَأْسِيسُ النُّبُوَّةِ.

ثُمَّ أَمِرَتْ [4] قُرَيْشٌ وَكَثُرَتْ حَتَّى قَصَدَهُمْ صَاحِبُ الْفِيلِ: لِهَتْكِ الْحَرَمِ، وَهَدْمِ الْبَيْتِ[5] وَسَبْيِ قُرَيْشٍ؛ فَأَخَذَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَلْقَةِ الْبَابِ وَقَالَ:

يَا رَبِّ لَا نَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا ❊ يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَا ❊ امْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَا

فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا حَكَاهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]

فَهَلَكُوا جَمِيعًا؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ:

---

[1] أي: أُلهمه بمقتضى فطرته السليمة.

[2] جمع مخيلة؛ وهي المظنة؛ أي: ما أدركه بعقله الثاقب.

[3] في النسخة (ب): يجتمعون.

[4] في النسخة (ب): قويت؛ و(أَمِرَ): عَظُمَ .

[5] في النسخة (ب): الكعبة.

أَنْتَ مَنَعْتَ الْجَيْشَ وَالْأَفْيَالَا ❊ وَقَدْ رَعَوْا بِمَكَّةَ الْأَجْبَالَا

وَقَدْ خَشِينَا مِنْهُمُ الْقِتَالَا ❊ وَكُلَّ أَمْرٍ لَهُمُ مِعْضَالَا

حَمْدًا وَشُكْرًا لَكَ ذَا الْجَلَالَا

فَتَكَامَلَ[1] -بِذَلِكَ- تَأْسِيسُ النُّبُوَّةِ فِيهِمْ، وَبَقِيَ تَعْيِينُهَا فِي الْمَخْصُوصِ بِهَا مِنْهُمْ.

---

[1] كذا في النسخة (ب) وفي الأصل: قد سهل.

فَصْلٌ
[إرهاصات النبوة]

وَكَانَ مِنْ مَبَادِئِ أَمَارَاتِ النُّبُوَّةِ فِي رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-:

إِجَابَةُ دَعْوَةِ جَدِّهِ "عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" حَتَّى هَلَكَ أَصْحَابُ الْفِيلِ؛ تَخْصِيصًا لَهُ بِالْكَرَامَةِ حِينَ خُصَّ بِالنُّبُوَّةِ فِي وَلَدِهِ[1]

ثُمَّ ظَهَرَ نُورُ النُّبُوَّةِ فِي وَجْهِ ابْنِهِ[2] "عَبْدِ اللَّهِ" حَتَّى مَرَّ بِكَاهِنَةٍ[3] مِنْ كَوَاهِنِ الْعَرَبِ -وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- "آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ"- فَرَأَتِ الْكَاهِنَةُ نُورَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ: «هَلْ لَكَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ، وَلَكَ مِائَةُ نَاقَةٍ مِنَ الْإِبِلِ» فَقَالَ:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهْ ❊ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهْ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهْ[4]

وَمَضَى لِشَأْنِهِ؛ وَنَكَحَ آمِنَةَ؛ فَعَلَقَتْ مِنْهُ بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-؛

وَعَادَ فَمَرَّ بِالْكَاهِنَةِ فَعَرَّضَ لَهَا، فَلَمْ تَرَ ذَلِكَ النُّورَ، فَقَالَتْ: «قَدْ كَانَ هَذَا مَرَّةً فَالْيَوْمَ لَا» فَأُرْسِلَتْ مَثَلًا.

---

[1] في النسخة (ب): فكره.

[2] في النسخة (ب): أبيه.

[3] هي: أم قتّال رقيقة بنت نوفل -أخت ورقة بن نوفل- لما كانت تسمع من البشارات.

[4] زاد في النسخة (ب): فباعدين اليوم ما تهوينه.

ثُمَّ وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَامَ الْفِيلِ -عَلَى مَا رَوَاهُ أَكْثَرُ النَّاسِ- فِي شِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ[1] فِي حِوَاءٍ[2] أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَتَرَكُوا عَلَيْهِ لَيْلَةَ وِلَادَتِهِ جَفْنَةً كَبِيرَةً، فَانْفَلَقَتْ عَنْهُ فَلْقَتَيْنِ[3]

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مَبَادِئِ أَمَارَاتِ النُّبُوَّةِ فِي نَفْسِهِ -ﷺ-.

ثُمَّ مَاتَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ -وَأُمُّهُ حَامِلٌ بِهِ- فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؛ فَكَانَ يَرَى مِنْ نَشْأَتِهِ مَا يَسُرُّهُ؛ وَمَاتَ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ مِنْ وِلَادَتِهِ؛ فَوَصَّى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ لِأُمِّهِ.

فَخَرَجَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ لِتِجَارَةٍ لَهُ -وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ- فَنَزَلَ تَحْتَ صَوْمَعَةٍ بِالشَّامِ عِنْدَ "بُصْرَى"[4] وَكَانَ فِي الصَّوْمَعَةِ رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ: "بَحِيرَا" قَدْ قَرَأَ كُتُبَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَعَرَفَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْأَمَارَاتِ[5]

---

[1] قال الزبير بن بكار: حملت به آمنة أيام التشريق في شعب أبي طالب؛ وولد بمكة في الدار التي كانت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج؛ وقيل: في شعب بني هاشم.

[2] الحِواء: البيت من الوبر.

[3] (الجفنة): القصعة؛ (انفلقت): انشقت عنه؛ جاء عند البيهقي في الدلائل: كان المولود إذا ولد من قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح، فيكفين عليه برمة؛ فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة يكفين عليه برمة؛ فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عليه باثنتين؛ فوجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء؛ فأتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولودا مثله: وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء. فقال: احفظنه فإني أرجو أن يصيب خيرا.

[4] بصرى: بلدة تقع بالشام؛ وهي من أعمال دمشق.

[5] قال ابن إسحاق: كان أعلم أهل النصرانية؛ ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم -فيما يزعمون- يتوارثونه كابرا عن كابر.

فَرَأَى "بَحِيرَا" مِنْ صَوْمَعَتِهِ غَمَامَةً قَدْ أَظَلَّتْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الشَّمْسِ؛ فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَتَفَقَّدُ جَسَدَهُ؛ حَتَّى رَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؛ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فِي مَنَامِهِ وَيَقَظَتِهِ -فَأَخْبَرَهُ بِهَا- فَوَافَقَتْ مَا عِنْدَهُ فِي الْكُتُبِ؛ وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «ابْنِي» فَقَالَ: «كَلَّا»

قَالَ: «ابْنُ أَخِي؛ مَاتَ أَبُوهُ؛ وَهُوَ حَمْلٌ» قَالَ: «صَدَقْتَ»

وَعَمِلَ لَهُمْ -وَلِمَنْ مَعَهُمْ مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ- طَعَامًا لَمْ يَكُنْ يَعْمَلُهُ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ؛ وَقَالَ: «احْفَظُوا هَذَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ الْعَالَمِينَ؛ وَسَيُبْعَثُ إِلَيْنَا وَإِلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ فَإِنْ عَرَفُوهُ مَعَكُمْ قَتَلُوهُ»

فَقَالُوا: «كَيْفَ عَرَفْتَ هَذَا؟»

قَالَ: «بِالسَّحَابَةِ الَّتِي أَظَلَّتْهُ؛ وَرَأَيْتُ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ -مِثْلَ التُّفَّاحَةِ- عَلَى النَّعْتِ الْمَذْكُورِ»[1]

فَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ بُشْرَى نُبُوَّتِهِ؛ وَهُوَ لِصِغَرِهِ غَيْرُ دَاعٍ إِلَيْهَا وَلَا مُتَأَهِّبٍ لَهَا.

---

[1] أخرجه ابن إسحاق في السيرة ٧٥ في باب: حديث بحيرا الرهب.